الصراع بين النصرانية والمسيحية
في أوروبا خلال العصور الوسطى

د. شعبان علي أبوراس(*)
د. امحمد انويجي غميض(**)
جامعة المرقب/ كلية الآداب – قسم التاريخ

المقدمة:

ليس هناك خلاف بأن التجربة الروحية للإنسان واحدة عبر امتداد الزمن واختلاف المكان، فقد جاءت دعوات الرسل والانبياء بفكرة التوحيد على مستوى العقيدة والمجتمع، وإلى تنقية المجتمعات من الشوائب الحضارية التي علقت في العقل الاخلاقي لتلك المجتمعات، نتيجة الانجراف بتلك الفكرة (فكرة التوحيد)، أو الانحراف في الاسلوب للوصول لتلك الفكرة التي نادى بها الرسل الذين ما إنفكوا يؤكدون على فكرة التوحيد وبيان الاسلوب المرتكز على حرية الانسان وتخليصه من كافة أشكال التسلط والاستعباد الذي مارسته عليه المؤسسة الدينية منذ فجر التاريخ الانساني المتمثلة في كهنة المعابد الوثنية للمتحدثين باسم الآلهة التي لا تقول شيئاً.

ثم تطورت المؤسسة الدينية التي عملت عبر التاريخ على استغلال الدين، وذلك باحتكار فهم النصوص المقدمة وأدخلت التجارب الروحية للإنسانية إلى مرحلة السرية والغموض وارتبطت العلاقة بين الكهنة (رجال الدين) والأباطرة (رجال السياسة) في حلف تاريخي من أجل تحقيق مصالح ذات أبعاد سياسية واقتصادية، وهو ما نراه بوضوح من خلال العملية الاستقرائية في تاريخ أوروبا خلال العصور الوسطى، فقد شوهدت (رسالة النبي عيسى عليه السلام) الذي جاء داعياً إلى عبادة الله الواحد، وتحقيق السلام والفضيلة، وبذلك التحالف المقيت بين الكهنة والأباطرة تحولت تلك الدعوة السامية إلى نموذج للشرك في عبادة الثالوث المقدسي (الأب . الإبن . الروح القدس) وجعلوا من الله الواحد الأحد ثالث ثلاثة، هذا التحريف الواضح في طبيعة هذه الديانة وتشويه نصوصها وتسميتها بالمسيحية أدخل أوروبا في حرب دينية طويلة الأمد بين القبائل الجرمانية والامبراطورية الرومانية، لتنتهي بهزيمة القبائل الجرمانية النصرانية وانتصار الكهنة والأباطرة الرومان المسيحيين (المشركين)، وعليه فإننا نخلص للقضية الآتية: (كلما كان التحالف قوياً بين رجال الدين والسياسيين كلما هزمت الحقيقة).

(*) محاضر في التاريخ القديم، كلية الآداب – الخمس، جامعة المرقب.
(**) أستاذ مساعد في التاريخ الإسلامي، كلية الآداب – الخمس، جامعة المرقب.

1 . مقاربات في المفهوم:

من بديهيات البحث والدراسة أن يحدد الباحث مفاهيمه التي سيستخدمها في ثنايا دراسته، وذلك وصولاً إلى دلالة اللفظ في إطاره التاريخي الفكري، وفي هذه الدراسة سوف تتردد كلمتان (النصرانية) و(المسيحية) التي يضن البعض أنهما مترادفتان، وإن كان هذا من الخطأ التي تقع فيه بعض المراجع منها المقصود بعلم ومنها غير المقصود بجهل، لذا كان ولابد من بيان مدلول كليهما.

أ . النصرانية:

يؤول أصل اشتقاق كلمة (النصرانية) في اللغة إلى الفعل (نصره تنصيراً أي جعله نصرانياً)[37]، وقيل أنها من الناصرة، وهي قرية بفلسطين ولد فيها عيسى عليه السلام[38]، وأن النصارى منسوبون إليه، كما قيل أن الكلمة مأخوذة من قول المسيح كما ورد في القرآن الكريم ﴿**مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**﴾[39]، وقيل (سموا أنصاري لتناحرهم . أي ينصر بعضهم بعضاً)[40].

ولقد جاءت كلمة النصرانية في القرآن الكريم للدلالة على اتباع رسالة عيسى عليه السلام التي كانت من سماتها الأساسية الدعوة لتوحيد الله، وتنظيم المجتمع وفق الشرائح السماوية ومكارم الأخلاق، ورفع الخلاف بين طوائف بني إسرائيل المتنافرة[41]، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى ﴿**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى**﴾[42]، وربما المقصود بذلك القول بالذين بقوا على التوحيد من اتباع رسالة عيسى عليه السلام في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كنجاش مثلاً[43]، وأهل

([37]) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1989م، ص583.

([38]) الناصرة: قرية قرب طبرية بفلسطين، ينظر: العموي، أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج5، ص251.

([39]) سورة الصف، الآية: 14.

([40]) الرازي، فخر الدين، اعتقالات المشركين والمسلمين، الطبعة الحسينية، القاهرة، 1323هـ، ص38.

([41]) الصلح، محمد عثمان، النصرانية والتنصيرة، أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، د.ت، ص21.

([42]) سورة المائدة، الآية: 82.

([43]) البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص472.

الحبشة ومصر وشمال افريقيا والأندلس وجنوب شرق أوروبا وشمالها[44]، ناهيك عن أهل نجران وبعض القبائل العربية المنتصرة[45].

والدليل على التوحيد قوله تعالى ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾[46]، وقوله ﴿**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ**﴾[47].

أما الأناجيل في مواضع عديدة فتناول قضية التوحيد، بل ليس هناك فرصة للتقول على المسيح والخلط بينه وبين الله، إذ تشير الأناجيل: ((**للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد**))[48].

وفي أحد المواقف يتقدم أحد الناس إلى المسيح عيسى ابن مريم قائلاً: ((**أيها المعلم الصالح .. أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ واحد هو الله**))[49]، وفي إنجيل مرقص: ((**إن أول الوصايا هي: الرب إلهنا رب واحد**))[50].

وقد أشارت العديد من كلمات المسيح في الأناجيل المختلفة إلى الله الواحد، كما بينت أن المسيح ليس أكثر من نبي[51]، وأوضحت الدراسات التاريخية أن عيسى لم يدع أنه المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه ابن الله، أو هو الإله، بل إن ذلك التعبير لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة لليهود سوى خطأ لغوي فاحش، كذلك لا يسمح لنا أي نص ديني من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير "ابن الله" على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية وهي اللغة التي استخدمها "بولس" كما استخدمها مؤلف رابع الأناجيل[52].

ورغم إن النصرانية تعتمد أساساً في سرد تاريخها، وتحديد عقائدها وتفسيرها على نصوص الأناجيل فإن تصفح هذه الأناجيل وحده يكفي لإقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث، مما يحتم القول بأن مؤلفي هذه الأناجيل لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ولم

([44]) عبد الجبار، سالمة، الدين والسياسة، الدار العالمية للطباعة، طرابلس، د.ت، ص15.
([45]) أبو هندي، مصطفى، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2004م، ص84.
([46]) الانجيل متى الإصحاح الرابع: 8-9-10.
([47]) انجيل متى الاصحاح التاسع عشر: 16-17.
([48]) نفسه، الاصحاح الثاني عشر: 29.
([49]) انجيل لوقا الاصحاح السابع: 16، وكذلك يوضا 6: 14، وبرنابا فصل 93.
([50]) عبد الجبار، مرجع سابق، ص19.
([51]) عبد الجبار، مرجع سابق، ص19.
([52]) المرجع السابق.

يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادته عليهم، بل على العكس من ذلك، إذ لم يعتمد أحد منهم على سلسلة كاملة مترابطة من الوقائع تسمح بأن تضع صورة واضحة عن النصرانية فلم يكن عملهم سوى الربط، في كثير أو قليل من المهارة، بين أطراف من الروايات، وأن يشكلوا منها سيرة افتقرت إلى الوحدة الحقيقية، كما أن عناصرها تبدو مفككة في إطار مصطنع.

ولقد كانت المبادئ التي جاءت بها النصرانية باعتبارها أطلقت على الديانة السماوية التي أرسل بها المسيح ـ عليه السلام ـ فإنها لم تختلف عن الثوراة الحقيقية التي جاء بها موسى من قبل، فكانت الصلاة عندهم نحو بيت المقدس "والتي حرفها بولس فيما بعد وجعل القبلة فيها نحو المشرق"[53]، كما جاءت منادية ببشرية المسيح وعدم تأليهه، يقول الله تعالى ﴿**مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[54].

كما بينت أن عيسى ـ عليه السلام ـ قد أرسل إلى بني اسرائيل خاصة، وهذا ما أيدته بعض نصوص الأناجيل ـ ولو أنها لا تمثل النصرانية الصحيحة جملة ـ، وذلك في قول عيسى ـ عليه السلام ـ ((لم أرسل إلاّ إلى خراف بني إسرائيل الضالة))[55]، أما عن الانجيل الذي أرسل به عيسى ـ عليه السلام ـ فإنه لم يدون، لدى تعرض للضياع خاصة بعد عمليات الاضطهاد المستمر، لكن الإشارات القليلة التي تضمنت كلام المسيح في نصوص الأناجيل الموضوعية والتي كانت موافقة لم جاء به القرآن فهي تعد من مقتطفات الديانة الحقيقية إما ما عداها فما هي إلاّ تواريخ[56]، ومن أهم الفرق التي تبنت هذه المبادئ والتي تحسب على النصرانية الأبيونيين، الذين سموا بذلك نسبة لابيون الذي ظهر سنة 70م، وهؤلاء كان منهم الحواريون الذين عاصروا المسيح، وقد سماهم المسيحيون اتباع بولس فيما بعد بالهراطقة[57]، كذلك من الفرق التي نادت ببشرية المسيح وعدم الوهيته الأريوسية[58]، التي سميت باسم من نادي بمبادئها أريوس[59]، وهو أسقف ليبي قاد حملة ضد من قالوا بالتثليث، لذا اعتبر امتداد لمن قبله من الأبيونيين،

([53]) ابن القيم الجوزيه، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائب الشيطان، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ج6، ص285.
([54]) سورة المائدة، الآية: 75.
([55]) انجيل متى، الإصحاح 15: ص21.
([56]) الزيات، عبد الفتاح حسين، ماذا تعرف عن المسيحية، مركز الراية، 2001م، ص21.
([57]) سليمان، فاضل، أقباط مسلمون قبل محمد، شركة النور، الجيزة، 2010م، ص21.
([58]) الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبد الكريم، الملل والنحل، مؤسسة الجلى، القاهرة: 1968م، ج2، ص28.
([59]) (أريوس) نصراني وضع مذهب يعرف بالآريوسية أكد فيه أن المسيح مخلوق وليس بإله عاش من 250م حتى 336م، ينظر: منير البعلبكي، مرجع سابق، ص10.

وقد ورد لفظ الأريسيين في كتب السيرة، وذلك في الرسالة التي بعثها النبي . صلى الله عليه وسلم . إلى هرقل والتي قال فيها: ((.... **اسلم تسلم . يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**))[60].

ب . المسيحية:

بالرجوع إلى اشتقاق الكلمة نجد أن جذورها عبرية، أو على أبعد التقديرات فإنها ذات أصل سامي مشترك بين العبرية التي ظهرت فيها لفظة مشيحاً والعربية التي ظهرت فيها كلمة مسيح[61]، وكلمة المسيح لقب له دلالته في العبرية فهي تعني المنقد الموعود وأصلها الممسوحة سرته بدهن الزيت المقدس، عملاً بتقاليد اليهود مع الطفل المولود، أما لفظة مسيح بالعربية فقد تضمنت بعض التاويلات حتى أن هناك من فسر كلمة المسيح بالصديق[62]، أما عن فترة ظهورها فقد رجعها بعض المنتسبين[63]، لها إلى شخص عرف ببلوس اليهودي، الذي أخرجها من نطاقها الضيق (النصرانية) حيث تنسب إلى قرية صغيرة وتخص بني اسرائيل، إلى جعلها ديناً عالمياً بأن نسبها إلى شخص المسيح . عليه السلام . وبما أضافه لها من بدع وخرافات أدت بالانحراف عما جاء به عيسى . عليه السلام . من التوحيد الخالص الذي سار عليه اتباعه ممن عرفوا بأهل الكتاب أو أهل الانجيل ووصفوا بالنصارى[64]، وقد تحدث القرآن الكريم إلى من أشرك من أولئك النصارى في قوله تعالى ﴿**وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ**﴾[65]، ومن أهم مبادئها أنها نادت بألوهية المسيح وروح القدس، كما ادعت بأن المسيح ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه، قرباناً ويصلب تكفيراً لخطيئة البشر، وهذا ما عرف في عقيدتهم بالصلب والفداء[66]، وكان بولس قد استعار في مسيحيته التي ابتدعها أشياء كثيرة من الديانات القديمة مثل تقديم النذور والهياكل والشموع والتراتيل والتماثيل، بل قلدها حتى في عباراتها وأفكارها اللاهوتية[67]، ونظر للتطورات التي أدخلها بولس على الديانة النصرانية وتسميته لها بالمسيحية

([60]) الندوي، أبو الحسن، السيرة النبوية، دار الشروق، جدة، 1979م، ص288.
([61]) الصالح، محمد عثمان، النصرانية والتنصير، مرجع سابق، ص23.
([62]) فتاح، عرفان عبد الحميد، النصرانية نشأتها التاريخية، وأصول عقائدها، دار عمار، عمان، 2000م، ص12.
([63]) سعيد، حميد، اديان العالم الكبرى، الكنيسة الاسقفية، القاهرة، د.ت، ص3.
([64]) الأعظمي، محمد ضياء، دراسات في اليهودية والمسيحية واديان الهند، مكتبة الرشد، السعودية، 2003م، ص23.
([65]) سورة التوبة، الآية: 30.
([66]) الشيلي، أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، د.م 1977م، ص146.
([67]) فتاح، المرجع السابق، ص29.

أطلق عليه اليهود بالعدو والخائن، لأنه تحول من يهودي محارب للنصرانية إلى مدع بإتبعها ومحرفاً لتعاليمها جاعلاً من ما ادعاه ديناً عالمياً، حيث جعل من عيسى ـ عليه السلام ـ شماعة ينسب إليها مما أراد، حتى أنه قال بأن المسيح بعد قيامه قد ظهر له على طريق دمشق وأوصاه[68]، وبذلك فإن مؤلفات بولس كانت أولى الكتابات وحتى الأناجيل الأربعة لم تكتب الاّ بعدها بفترة طويلة في منتصف القرن الثاني الميلادي[69].

ومن ذلك نجد أن لفظة المسيحية غير موجودة لا في القرآن ولا في عهد المسيح ـ عليه السلام ـ وعلى الرغم من هذه الفروقات الواضحة، فالكثير يخلط بين المعنيين.

2 . حقيقة الصراع:

لقد ظهرت أول جالية مسيحية في أوروبا على يد بطرس[70]، سنة 41م، وكان ذلك في عاصمة الإمبراطورية التي بسببها تعرض بطرس للصلب سنة 64م، في عهد نيرون[71]، وهو نفس العام الذي أعدم فيه بولس، وذلك لأنهما خالفا دين الوثنية السائد في الإمبراطورية[72]، فكانت المسيحية التي دعا إليها بطرس يهودية حيث أنه نقل إليها أشكال العبادات العبرانية واحتفالاتها وحتى ملابسها؛ ليرغّب من دخل فيها من اليهود على نشرها، ثم نجدها تنحرف أكثر على يد بولس لتصبح تعاليمها متأثرة بالفلسفة اليونانية، فكان بولس قد نشأ نشأة يهودية إلا أنه اعتنق المسيحية التي أضاف إليها الكثير في سنة 35م[73]، حتى أن البعض وصفه أنه بدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً من اليهودية وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيحية[74]، فادعى أنه الرسول وأن عيسى ابن الله وأنه قد جاءهم بالإنجيل، فأخذ ينشر

([68]) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس، د.ت، ص73.
([69]) المرجع نفسه، ص75.
([70]) بطرس: (64م) القدير بطرس، كبير رسل المسيح الاثني عشر، وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية أول الباباوات، ولقي مصرعه على يد النيرون، البعلبكي، المرجع السابق، ص106.
([71]) نيرون: (37-68م) امبراطور روماني تميز عهده باضطهاد المسيحيين وقتلهم حتى أنه أحرق روما عام (64م)، وانتحر بعدما ثار عليه العسكريين، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص461.
([72]) سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة: 1990م، ص35.
([73]) محمد ضياء الأعظمي، المرجع السابق، ص313.
([74]) ول دايريل ديورانت، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت: د.ت، مج11، ج3، ص247.

المسيحية في أنطاكيا[75]، إلى جانب من ادعوا أنهم رسل، ومن هناك قام بثلاث رحلات تبشيرية في أوروبا، والتقى بلوقا[76] وبطرس وزار الجاليات المسيحية هناك، ودعا بين أهالي المدن التي زارها ثم ذهب لأورشليم[77] في 57م، وكان اليهود على غضب شديد مما كان يدعيه ففر إلى روما[78].

وهناك تم إعدامه لأنه اتهم بأنه يعمل ضد أحكام أباطرتهم، فأعدم هو وبطرس في سنة 64م[79]، وفي حقيقة الأمر أن أوروبا لم تتأثر بسرعة بأقوال بولس وفلسفته التي دونها والتي اعتبرها وحياً في رسائله، لأن الجماعات التي أنشأها كانت أشبه بجزر في وسط بحر من الوثنية الواسع الخضم[80].

وبذلك فقد كانت رسائل بولس أول ما كتب من مصادر المسيحية، يليها سفر مرقس[81]، ومتّى[82] ولوقا التي كتبت قبل نهاية القرن الأول الميلادي ومن ثم كتب يوحنّا[83] انجيله في جو من نبوءات بولس، وهذه الأناجيل جملةً عرفت بالعهد الجديد، استناداً على كون التوراة التي كانت جاء بها موسى لليهود تمثل العهد القديم[84] وبالنظر إلى وضع المسيحية في أوروبا فإنها بالرغم من الاضطهادات فقد ضلت في ازدياد حيث جعل المسيحيين لأنفسهم مجامع صغرى، وانضم لهم حتى النساء وأخذوا يمدون

([75]) انطاكيا: هي قصبة العواصم من الثغور الشامية موصوفة بالنزاهة والطيب، وقد بناها الملك الثالث بعد الإلكسندر ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج1، ص266.

([76]) لوقا: رفيق بولس في رحلاته التبشيرية، وكان قد ولد في أنطاكيا ومارس الطب ومات في مقاطعة بيوتيا اليونانية، ينسب إليه إنجيل لوقا وأعمال الرسل، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص392.

([77]) أورشليم: اسم للبيت المقدس بالعبرانية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص279.

([78]) روما: ويقال رومية وهي شمالي وغربي القسطنطينية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص101.

([79]) ول دايريل ديورانت، المرجع السابق، مج11، ج3، ص269.

([80]) المرجع نفسه، ص270.

([81]) مرقس: القديس (القرن الأول الميلادي) صاحب انجيل مرقس أقدم الأناجيل وأقصرها، وكان قد كتبه وروما سنة 68م، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص423.

([82]) متّى: القديس: أحد رسل المسيح الإثني عشر، كان جامع للضرائب ينسب إليه انجيل متى الذي تحدث فيه عن حياة المسيح ووفاته، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص417.

([83]) يوحنّا: أحد رسل المسيح الاثني عشر، بدأ حياته صياد في بحيرة طبرية، ولعب دوراً بارزاً في أيام الكنيسة في القدس، ينسب إليه انجيل يوحنّا وسفر الرؤيا، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص517.

([84]) محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض: 1404هـ، ص55.

البعثات التبشيرية بالمال[85]، وبالفعل ما كاد القرن الثاني ينتهي حتى انتشرت المسيحية في أوروبا والأراضي التابعة لها[86]، فبرزت قوة الكنيسة في أفريقيا[87]، ومن ثم في مصر[88].

وفي تلك الأثناء كانت النصرانية في المشرق لا تقل نشاطاً عن المسيحية في أوروبا، فقد نشطت الدعوة على يد "آريوس" الذي عمل على إنكار ما ادعاه المسيحيين حول ألوهية عيسى، ومحارباً لها، حتى أطلق المسيحيين على ما جاء به ببدعة آريوس وعلى أتباعه بالهراطقة، وفي حقيقة الأمر ما نادى به آريوس لم يكن بدعة إنما هي من بقايا البشارة أو الإنجيل الذي أتى به عيسى – عليه السلام – فكان يدعوا إلى عبادة الله وحده ونفي الألوهية عن عيسى – عليه السلام –[89].

ولما كثر أنصار آريوس في كل من الإسكندرية[90] ومقدونية[91] والقسطنطينية[92] رأى بطريرك الإسكندرية أن يقضي على ما جاء به آريوس بأن يطرده من الكنيسة بحجة أنه قدى رأى المسيح يتبرأ من آريوس ويلعنه، فذهب آريوس إلى فلسطين ومنها إلى مقدونيا، وكان أساقفتها على مذهب آريوس[93].

وكان الخلاف قد برز واشتد بين المسيحية والنصرانية بمجرد دخول قسطنطين[94] للمسيحية[95]، الذي اتخذ منه وسيلة لخلق نوع من التوازن بين المسيحية والوثنية المنتشرة في إمبراطوريته، إلا أنه سرعان ما برز عداء المسيحيين للنصارى وباعتبار آريوس ممثلاً لها ومخالف لعقيدة المسيحيين[96].

([85]) سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت: 1986م، ص32.

([86]) ول دايريل ديورانت، المرجع السابق، مج11، ج3، ص309.

([87]) أفريقية: اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، وسميت بذلك نسبة إلى أفريقس بن صفي بن سبأ الذي اختطها، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص228.

([88]) مصر: سميت مصر نسبة لمصرايم بن حام بن نوح وهي من فتوح عمرو بن العاص تمثل الإقليم الثالث، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص137.

([89]) الشهرستاني، المصدر السابق، ج2، ص23.

([90]) الإسكندرية: مدينة بمصر، من فتوح عمرو بن العاص على عهد عمر بن الخطاب، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص184.

([91]) مقدونيا: مدينة محصورة بين بحر الشام وبلاد الصقالية، تقع هي والقسطنطينية في بر واحد، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص173.

([92]) القسطنطينية: ويقال قسطنطينة انتقل إليها قسطنطين الأكبر وسماها بذلك وكانت من قبل تعرف ببزنطة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص347.

([93]) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص151.

([94]) قسطنطين: (280 – 337م) أول امبراطور روماني مسيحي أعاد بناء بزنطة عام 330م، وأطلق عليها اسم القسطنطينية ونقل إليها عاصمته كما شيد عود كبير في الكنائس، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص349.

([95]) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص32.

أما عن ردة فعل آريوس فقد سار إلى قسطنطين ومعه أُسقفان فاستغاثوا به وشكوا له ما كان من بريرك الإسكندرية، فأمر بإحضاره وجمع أتباع الطرفين للفصل بينهما في مجمع نيقية[97] سنة 325م[98]، ولقد كان المجمع في ذلك الوقت بمثابة مؤتمر للأساقفة تحت رئاسة الحبر الأعظم للبث في شؤون الكنيسة، ويكون المجمع مسكونياً إذا حضره أساقفة العالم (المسكونة) أو إقليمياً أو طائفيا[99]، وبذلك فإن مجمع نيقية الأول والذي عقد في سنة 325م[100]، يعتبر أو مجمع كنسي عقد فيه للفصل في الصراع بين المسيحية والنصرانية، ولما كان الداعي لعقد المجمع الإمبراطور قسطنطين، لبى كل الأساقفة الدعوة للحضور فكانوا في عدد ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً متباينين في الآراء والأديان[101]، وكانت آرائهم مذهبية، فبالإضافة إلى اختلافهم إلى نصارى يقولون بتوحيد الله، وكان هناك نظرائهم المسيحيين الذين انقسموا إلى مذاهب شتى، فتناظر الجميع فأدلى آريوس وأتباعه بمبادئهم وما دعى إليه من توحيد الله وبشرية المسيح، بينما دعا المسيحيون للقول بعقائد متباينة تدور حول القول بألوهية المسيح والصلب والفداء[102].

ولما تحير قسطنطين من أمرهم مال إلى القائلين بالمسيحية الذين نادوا: "بأن الابن المولود من الأب قبل كل الدهور غير مخلوق، وهو جوهر من جوهره، ونور من نوره، والابن اتحد بالإنسان المولود من مريم فصار واحد وهو المسيح[103]، وذلك لأنهم أقرب إلى الوثنية السائدة في الامبراطورية، وكان قسطنطين قد قدم لهؤلاء الكراسي وأجلسهم عليها ودفع إليهم سيفه وخاتمه وبسط أيديهم في جميع مملكته، فباركوا عليه ووضعوا كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة، كما اتفقوا على حرمان آريوس ونفيه[104].

3 . النتائج المترتبة على الصراع.

([96]) محمود سعيد عمران، حضارة أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت: 1991م، ص91.
([97]) نيقية: من أعمال إسطنبول على البر الشرقي، وهي المدينة التي اجتمع بها أباء الملة المسيحية، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص333.
([98]) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، 33.
([99]) المقريزي، تقي الدين، تاريخ الأقباط، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د.م، د.ت، ص55.
([100]) ول دايريل ديورانت، المرجع السابق، ج11، ص387.
([101]) الحنفي، محمد بن صفي الدين، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد الدمشقية، د.ن، الرياض، 1408هـ، ص37.
([102]) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص153.
([103]) المقريزي، المصدر السابق، ص58.
([104]) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص157.

أ . للنصرانية.

لقد وصف مجمع نيقية (سنة 235م) النصرانية التي دعا لها آريوس وأتباعه بالبدعة والهرطقة[105]، التي كانت توصف في الكتاب المقدس وكأنها نوع من الفسق والمروق وعبادة الأوثان، كذلك من النتائج التي جاء بها المجمع أنه أمر بحرق كل الكتب التي تدعوا إلى ما قاله آريوس وأتباعه[106]، ليفرض بالقوة اتباع عقيدة المسيحيين وهذا يعد من أخطر القضايا العقائدية، وهنا أصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للدولة، لذلك كانت نقطة جدل لأن كل المعارضة التي كانت ضد الامبراطورية قد تبنت اعتناق النصرانية التي دعا لها آريوس، فانتشرت بشدة – على الرغم مما أريد لها من طمس، في كل من القسطنطينية وأنطاكية ومصر التي أثار أهلها على بطريرك كنيستهم الذي قال بألوهية المسيح وكذلك فعل أهل بيت المقدس[107].

أما عن ردة فعل البطارقة المقربين من قسطنطين الذين كانوا على دين النصرانية، فقد عملوا حيلة للاحتفاظ بها وحياطتها، واتخذوا الخذيعة سبيلاً لذلك، فتقربوا من قسطنطين، وأظهروا له الإقلاع عن ما كانوا عليه ليعودوا إلى مناصبهم، ويستطيعوا مناصرة فكرتهم ولينالوا ثقة قسطنطين، ومن خلال ذلك ينقنعونه بالتوحيد حتى أن بعضهم عمل على إثارة الصراع في أول مجمع كنيسي بعد نيقية وإنكار ألوهية المسيح وأيده كثير ممن معه حتى كادوا أن يقتلوا بطريرك الاسكندرية، فلما سمع بذلك قسطنطين كرمهم[108]، وبذلك فقد عمل قسطنطين على دعوة آريوس من جديد سنة 327م، وسمح له بشرح عقيدته ووعده بإلغاء حرمانه الكنيسي، ومن شدة تأثر قسطنطين بالنصرانية أنه عمد قبل وفاته إلى عقيدة التوحيد الأريوسية[109]. ولم يقتصر الاعتراف بالنصرانية كدين سماوي على قسطنطين بل ناصره عدد من الأباطرة منهم ابن قسطنطين "قسطنطينيوس الثاني"[110] الذي دام حكمه 24 سنة، وقد عمل هؤلاء الأباطرة على عقد مجامع كنسية أدنت عقيدة الثالوث وعزلت أساقفتهم، في حين أن بعض الأباطرة رجع إلى اضطهاد النصارى مثالاً على ذلك ما قام به ثيودوسيوس الذي عمل مذبحة شنيعة قتل فيها أكثر من

([105]) محمد الغزالي، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، شركة النهضة المصرية، القاهرة، 2005م، ص82.
([106]) سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص96.
([107]) محمد أبوزهرة، المرجع السابق، ص160.
([108]) المرجع السابق، ص159.
([109]) فاضل سليمان، المرجع السابق، ص72.
([110]) قسطنطينيوس الثاني: (317-361م)، امبراطور روماني، وابن قسطنطين الأول المعروف بالكبير، اقتسم بين اخوته الامبراطورية فكان له المقاطعة الشرقية وعمل في الحرب ضد الفرس، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص348.

15000 آريوسي موحد بمقدونية[111]، وبالنظر إلى معتنقي الديانة النصرانية في أوروبا فإنهم لم يكونوا اقلية حتى أن القسطنطينية كانت موحدة نصرانية على بكرة أبيها، بل أنها أصبحت العقيدة الوطنية للقبائل الجرمانية حيث انتقلت من القوط إلى الوندال إلى السوفي والبرجنديين واللمبرديين وغيرهم الذي ساحوا في أوروبا وكانوا على غير وفاق مع الامبراطورية الرومانية، لذا من الطبيعي أن يعتنقوا الدين المخالف للامبراطوية التي جعلت من المسيحية ديناً رسمياً لها[112].

ومن شدة انتصار النصرانية في أوروبا أن إيطاليا أصبحت في القرن الخامس والسادس معضمها نصرانية آريوسية لوجود قبائل القوط الغربيين بها كذلك شمال افريقيا التي كان بها الوندال[113]، وذلك فإن اعتناق القبائل الجرمانية للنصرانية والتي استمر وجودها على امتداد الامبراطورية الرومانية، فقد جعل منها عدو للامبراطورية حيث اعتبرتهم الكنيسة المسيحية هراطقة وخونة حتى أطلق عليهم لقب البرابرة طمساً لتاريخهما[114].

وبذلك فإنه على امتداد العصور الوسطى ووصولاً إلى الفتح الاسلامي في أوروبا، فقد دفع اضطهاد المسيحيين للنصرانية وأتباعها إلى دفع أتباع النصارى إلى الترحيب بالمسلمين، بدليل أنه في سنة 20هـ/641م عند فتح مصر لم يلقوا أي مقاومة، كما أن البربر كانوا قد ذهبوا إلى عمروا بن العاص[115] يعرضون عليه الدخول في الاسلام، لما رأوا من موافقة الاسلام لما هو عندهم[116].

كذلك الأمر في الأندلس[117]، فإن الذي كانوا على دين النصرانية هم من رحب بالإسلام ولولا مقاومة الفرنجة المسيحيين لانتشر الاسلام في كل أوروبا[118].

([111]) فاضل سليمان، المرجع السابق، ص75.
([112]) المراجع السابق، ص83.
([113]) سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص66.
([114]) فاضل سليمان، مرجع سابق، ص84.
([115]) عمرو بن العاص: (43هـ /663م) قائد عربي شارك في أجنادين واليرموك وفتح مصر وأنشأ فيها الفسطاط واشتهر بالدهاء في قضية التحكيم في صفين، منير البعلبكي، مرجع سابق، ص30.
([116]) فاضل سليمان، مرجع سابق، ص85.
([117]) الاندلس: جزيرة على شكل مثلث يحيط بها البحران المحيط والمتوسط وهي تواجه أرض المغرب بتونس وتتصل ببلاد الفرنجة من جهة الشمال، ياقوت الحموي، مصد سابق، ج1، ص263.
([118]) فاضل سليمان، مرجع سابق، ص85.

ب . للمسيحية:

بعد أن جاءت قرارات مجمع نيقية سنة 325م مؤيدة للمسيحية التي تنادي بألوهية المسيح وأنها من جوهر الله وأنه قديم بقدمه، وأنه لا يعتريه تغير ولا تحول، فقد فرضت تلك العقيدة على المسيحيين بمذاهبهم المختلفة بأنها مؤيدة بقوة للسلطان قسطنطين[119]، وعلى الرغم من القول بأن قسطنطين قد اعتنق المسيحية منذ اعلانه مرسوم ميلان سنة 313م الذي جاء فيه الاعتراف بالمسيحية داخل الامبراطورية[120]، فإنه لم يخضع لما جاءت به المسيحية من طقوس وشعائر حتى أنه لما يعمد أصلاً، والتعميد عندهم اعلان للدخول في هذا الدين، وبذلك فإن انضمامه للمسيحية كان وسيلة لا غاية، بدليل رسائله التي بعث بها للاساقفة المسيحيين والتي بين لهم فيها أنه لا يهتم بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها المسيحية، مع أنه لم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق للمحافظة على وحدة الامبراطورية[121]، ولما كان عدد الأناجيل قبل مجمع نيقية يصل إلى سبعين انجيل، اعترف منها بالأناجيل الأربعة وهي:

1. انجيل متّى . عدد اصحاحاته " 28 " إصحاح.
2. انجيل مرقس . عدد اصحاحاته " 16 " إصحاح.
3. انجيل لوقا . عدد اصحاحاته " 14 " إصحاح.
4. انجيل يوحنّا . عدد اصحاحاته " 21 " إصحاح.

ولقد عرفت تلك الأناجيل بالأناجيل النيقوية[122]، وبذلك نجد أن العقيدة القائلة بتأليه المسيح قد انتصرت في هذا المجتمع على النصرانية، كما أحيت عقيدة بولس من جديد ليس بحجته إنما بقوة السلطان وبقايا الوثنية التي دعت إليها بدليل أن الأساقفة الذين تبناهم هذا المجتمع قد سيطروا على قلوب العامة بالرؤى والأحلام التي كانوا يزعمونها[123]، وبتوالي المجامع الكنيسية فقد تقرر اتخاذ فكرة التثليث كعقيدة للمسيحية مما أدى إلى بروز الفروق المذهبية في المسيحية نفسها لتظهر أثرها طوائف المسيحية المختلفة الأقانيم[124]، من كاثوليك[125] وبروستات[126] وأرثودكس[127]، ولما كانت الفكرة التي جاء بها

([119]) سلطان عبد الحميد سلطان، مرجع سابق، ص90.
([120]) سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص37.
([121]) ول دايريل ديورانت، مرجع سابق، مج11، ج3، ص309.
([122]) احمد بن عبد العزيز الحصين، النصرانية وما اعتراها من تحريف وتبديل، مكتبة الإيمان، د.م: 2011م، ص36.
([123]) محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص161.
([124]) سلطان عبد الحميد سلطان، المرجع السابق، ص102.

المجمع تتفق وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم فقد انتشرت المسيحية في بلاد الغرب اللاتيني[128]، ونظراً لتباين الأباطرة في تأييد ومخالفة المسيحية فقد مرت المسيحية بعدة عقبات، فكانت يحجر عيها كلما دعم الأباطرة النصرانية كما فعل قسطنطين عندما ألغى قرارات مجمع نيقية سنة 327م وأرضى آريوس[129]، وفي بعض المرات تعرضت للاضطهاد كما فعل جوليان المرتد[130] الذي أيّد الوثنية سنة 361 وحارب المسيحية[131]، أما عن أوضاع القبائل الجرمانية الوافدة على أوروبا فإن الفرنجة من بين كل أخوتهم من الشعوب الجرمانية الذين انتشرت بينهم الديانة المسيحية باعتناق كلوفس[132] وأتباعه[133]، وبذلك لأن الفرنجة كانوا على علاقة جيدة مع الإمبراطورية الرومانية، ولما كان دين الدولة "المسيحية" كان من الطبيعي أن يعملوا على نشره بينهم.

وبذلك فإن قوة الكنيسة المسيحية والباباوات في الغرب الأوروبي قد ظلت في ازدياد، حتى انتصرت بعقيدتها على جيوش المسلمين عندما وصلت قواتها مشارف غاليا في معركة بلاط الشهداء، وذلك لأنها على عكس التوحيد الذي نادى به الإسلام والعقيدة النصرانية من قبل[134].

([125]) كاثوليك: وهم رعايا الكنيسة الغربية وحاضرتها الفاتيكان بروما وتخضع جميعها لسلطة البابا، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض: 1999، ج20، ص67.

([126]) بروستات: اسم يدل على جميع الطوائف والفرق النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة الرومانية الكاثولوكية وهي تنتشر في أوروبا الوسطى، الموسوعة العربية العالمية، ج4، ص376.

([127]) الأرثوذكس: هم أتباع الكنائس الأرثوذكية الشرقية وهي المذهب الغالب على أوروبا الشرقية، وهم قائلين بالتثليث والتجسيد. الموسوعة العربية العالمية، ج20، ص65.

([128]) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص40.

([129]) المرجع نفسه، ص41.

([130]) جوليان المرتد: (331-363م) إمبراطور روماني، أعلن أنه يدين بالوثنية ومضطهد المسيحيين ومنعهم من التعليم، منير البعلبكبي، المرجع السابق، ص163.

([131]) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص42.

([132]) سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص81.

([133]) المرجع نفسه، ص25.

([134]) نعيم فرج، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، د.م: 2000م، ص195.

الخاتمة

1. أن النصارى هم أتباع عيسى الذين لم يخالفوا عقيدة التوحيد التي جاء بها، أما المسيحيون فهم من أرادوا جهلاً الرفع من المسيح فوضعوه بجعله إله ابن إله.
2. أن الصراع بين النصرانية والمسيحية هو صراع بين الحق والباطل والتوحيد والشرك الذي تجلت أوضح صوره في مجمع نيقية سنة 325م الذي رفع المسيحية المشركة على دين التوحيد.
3. أن النصرانية الحقيقة لم تندثر إنما استمرت رغم مراحل الاضطهاد التي مرت بها في أوروبا، لأنها مثلت الدين الشعبي لشعوب أوروبا في تلك المرحلة.
4. أن المسيحية على الرغم من دعم الإمبراطورية لها فإنها استمرت في الانقسامات وازدادت في الانحراف يوماً بعد يوم إلا أنها لم تقض على النصرانية حتى ولو كانت دين الإمبراطورية الرسمي.
5. أن النصرانية التي كان آريوس أحد أتباعها كانت من المبشرين بالإسلام الذي يوافق العقيدة التي هم عليها؛ لذا فقد انتشر الإسلام في كل المناطق التي تدين بالنصرانية "الأريوسية" والتي كانت تابعة للإمبراطورية في ذلك الوقت.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

1. الحنفي، محمد بن صفي الدين، أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية، تحقيق: عبد الرحمن بن سعيد، د.ن، الرياض: 1408هـ.
2. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت: 1989م.
3. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي، القاهرة، 1968م.
4. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار سويدان، بيروت: د.ت.
5. ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت: د.ت.
6. ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت: 1988م.
7. المقريزي، تقي الدين، تاريخ الأقباط، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، د.م، د.ت.
8. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت: د.ت.

ثالثاً: المراجع العربية:

1. أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض: 1404هـ.
2. الأعظمي، محمد ضياء، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، السعودية: 2003م.
3. البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت: 1992م.
4. الحصين، أحمد بن عبد العزيز، النصرانية وما اعتراها من تحريف وتبديل، مكتبة الإيمان، د.ن، د.ت.
5. الزيات، عبد الفتاح حسين، ماذا تعرف عن المسيحية، مركز الراية، د.م، 2001م.
6. سعيد، حبيب، أديان العالم الكبرى، الكنيسة الأسقفية، القاهرة: د.ت.
7. سلطان، سلطان عبد الحميد، المجاميع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة: 1990م.
8. سليمان فاضل، أقباط مسلمون قبل محمد، شركة النور، الحيرة: 2016م.
9. شلبي، أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، د.م، 1977م.

10. الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن، بيروت: 1981م.
11. الصالح، محمد عثمان، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة النهضة العربية، بيروت: 1986م.
12. الغزالي، محمد، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، شركة النهضة المصرية، القاهرة: 2005م.
13. فتاح، عرفان عبد الحميد، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار، عمان، 2000م.
14. فرج، نعيم، الحضارة الأوروبية في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، د.ت.
15. مجهول، الأناجيل (النصوص الكاملة)، ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، دار ابن قتيبة، دمشق: 2008م.

رابعاً: المراجع المعربة:

16. بوكاي، موريس، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس: د.ت.
17. ديورانت، ول ديريل، قصة الحضارة، دار الجيل، بيروت: د.ت.

خامساً: الموسوعات:

18. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية: 1999م.